

٢ـ باب فضل التوحيد ، وما يكفر من الذنوب

أ- وقول الله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام : ٨٢] الآية .

أ- أراد المؤلف به بيان شيء من فضل التوحيد ، وأنه أعظم الأعمال في تكفير الذنوب ؛ لأنه أساس الأعمال وأصلها ، والأعمال لا تصح إلا بعد وجوده .

وذكر ذلك حتى يعرفه المؤمن ، ويكون أكثر إقبالاً عليه وتشوقًا إليه .

قال تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ .

آمنوا : أي : وحدوا الله ، وأخلصوا له العبادة ، وآمنوا أنه إلـهـهم الحق .

ولم يلبسوا : أي لم يخلطوا .

إيمانهم : توحيدهم .

بظلم : بشرك ، بل أخلصوا له العبادة سبحانه .

لهم الأمن : أي الأمن الكامل والهداية الكاملة ، إذا كان إيمانهم سليمًا من الظلم كله دقه وجله؛ من الشرك ، وما دونه من المعاصي ، وظلم العباد .

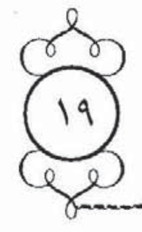
ولما نزلت هذه الآية ، شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، وجاءوا إليه ، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه ـ ظنوا أنه أراد جنس الظلم ، أي: جنس المعاصي ـ فقال: «**ألم تسمعوا قول العبد الصالح: إن الشرك لظلم عظيم**»[(٧)] .

فالمراد من الظلم هنا : الشرك . بخلاف المشرك ، فلا أمن له ، بل إلى النار. والمؤمن إذا سلم من الشرك الأكبر والأصغر ، وظلم العباد ، فله الهداية الكاملة ، والأمن التام في الدنيا والآخرة، أما إذا سلم من الشرك الأكبر ، ولم

---

(٧) **صحيح**.

رواه البخاري (٣٢) ومسلم (١٢٤) من حديث عبد الله بن مسعود .



بـ - عن عُبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ شَهِدَ أنَ لا إلَـه إلا الله وحـدَهُ لا شريكَ لَهُ ، وأنَّ مُحَـمَّدًا عبـدُه ورسولُه ، وأنَّ عيسىٰ عبدُ الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم ، وروح منه، والجنة حقٌّ، والنار حق، أدخله الله الجنة علىٰ ما كان من العمل**»[٨] . أخرجاه

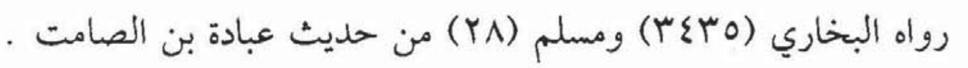
يسلم من الأصغر ، ومن بعض الذنوب فهدايته ليست كاملة ، وأمنه ليس كاملاً، بل ربما يدخل النار بالمعاصي التي مات عليها، وفي شرح الآية بيّن الرسول أن الهداية والأمن المطلقين لا يحصلان إلا بترك الشرك، لكن دلت النصوص الأخرىٰ أن الهداية لا تكمل ، والأمن لا يكمل إلا بالسلامة من المعاصي ، وظلم العباد ، وسائر أنواع الشرك الأصغر.

بـ - حديث عبادة بن الصامت مرفوعًا : «**من شهد أن لا إلـه إلا الله ... أدخله الله الجنة ...**».

روح منه : أي روح من الأرواح التي خلقها وأوجدها.

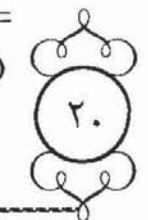
فمن شهد هذه الشهادة صادقًا أدخله الله الجنة، وهذا من الأحاديث المطلقة الدالة علىٰ فضل التوحيد ، ولكن دلت النصوص علىٰ أن هذا الإطلاق مقيد بمن أدىٰ حق هذه الشهادة، أي : شهد شهادة جازمة بذلك تتضمن إخلاص العبادة له وحده، عن صدق وانقياد ، ومحبة ، وقبول ، وإخلاص ، ومتابعة لنبيه ﷺ، وطاعته ، فمن شهدها ولطخها بالمعاصي والسيئات أو قالها باللسان فقط وهو يشرك بقلبه أو عمله كالمنافقين ، فهذه لا تنفعه الشهادة ، بل لابد من قولها، والجزم بها، والعمل بالأوامر ، وترك النواهي ، واتباع النبي ﷺ . وإلا فتكون الشهادة مدخولة لا تقوىٰ علىٰ دخول صاحبها الجنة إلا بمشيئة الله.

قوله : «علي ما كان من العمل» ، أي : علىٰ ما كان عنده من صلاح وفساد



(٨) **صحيح**.

رواه البخاري (٣٤٣٥) ومسلم (٢٨) من حديث عبادة بن الصامت .



ج - ولهما في حديث عتبان : «فإن الله حرم على النار من قال : لا إلـه إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[٩].

إذا قالها عن إخـلاص وإيمان. ولكن هذا الدخول قد يكون من أول وهلة ، أي: يدخل ابتداءً إذا مات على توبة ، وعمل صالح وصدق، وقد يكون بعدما يبتلى به من جزاء السيئـات والمعاصي ، وبعـدما يمحص في النار ، ويعـذب فيـها ، ثم مصيره إلى الجنة ، فمن أدى هذه الشهادات ، وقضى ما عليه دخل الجنة من أول وهلة. وإذا مات على المعاصي؛ فـهو تحت مشيئة الله ، إن شـاء عذبه، وإن شاء أدخله الجنة.

ج - «ولهما من حديث عتبان : فإن الله حرم على النار من قال : لا إلـه إلا الله يبتغي بذلك وجه الله».

أي : من قالها عن صدق ، ومات عليها ؛ أدخله الله الجنة ، فإن كانت له ذنوب ، فهو تحت المشيئة ، إن لم يتب من ذنوبه كما تقدم.

ومن قـالها مـخلصًا وصـادقًا ، فـإنه لا يصر على السيئـات ؛ لأن إيمانه وإخلاصـه الكامل يردعه عن الاستمـرار والإصرار على المعاصي ؛ فـيدخل الجنة ابتداءً مع أول الداخلين ، والدليل على أن من مات على المعاصي فهو تحت المشيئة قـوله تعـالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ . ودلـت الأحاديث أن أهل المعاصي معرضون للوعيد ، وأنهم يدخلون النار ، ثم يخرجون بشفاعة الأنبياء وغيرهم ؛ لأنهم قد أضعفوا توحيدهم ولطخوه بالمعاصي.

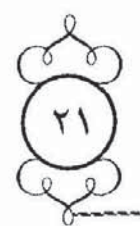
وهذا هو منهج أهل السنة والجمـاعة ، وهو المعنى الصحـيح الذي خلا عنه أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والمرجئة وغيرهم.

- من كفر بالله فإن الشهادة لا تنفعه وإن شهدها.

---

(٩) **صحيح** .

رواه البخاري (٤٢٥) ومـسلم (٣٣) وطرفه في كتاب المساجـد باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر باب (٤٧) .



ﬦ - وعن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله ﷺ قال : «**قال موسىٰ: يارب! علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسىٰ: لا إلـٰه إلا الله. قال: يارب! كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسىٰ! لو أن السموات السبع وعامرهن - غيري - والأرضين السبع في كفة ولا إلـٰه إلا الله في كفة ؛ مالت بهن لا إلـٰه إلا الله**»[10]. رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

ﬦ - حديث أبي سعيد ، عن رسول الله ﷺ قال : «**قال موسىٰ: يارب! علمني شيئًا ...**» يدل الحديث علىٰ فضل هذه الكلمة ، وأنها ذكر ودعاء لقوله : علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به - فهي ذكر لله ؛ لأن فيها شهادة له بالوحدانية، ودعاء ؛ لأن قائلها يرجو ثوابها ، وهكذا كل الأذكار من تسبيح وتحميد وحوقلة.

وفي هذا دلالة علىٰ شأن هذه الكلمة ، فهي ذكر ودعاء ، وأن فضلها قد يخفىٰ علىٰ بعض الأنبياء.

وعظم هذه الكلمة في أنها تحقق العبادة لله وحده ، وتثبتها لله ، وتنفيها عن غيره ، ومعناها : أن لا معبود بحق إلا الله، ففيها إبطال لجميع الآلهة.

قوله : وعامرهن غيري:

استثنىٰ سبحانه نفسه؛ لأنه العظيم ، وهو سبحانه فوق العرش ، وبه قامت السموات والأرض ، وهو الذي أمسكهن ، وأقامها ، وأقام العرش ، والكرسي،

---

(١٠) **إسناده ضعيف** .

رواه النسائي في الكبرىٰ (١٠٦٧٠ ، ١٠٦٨٠)، والحاكم (١/٥٢٨) وأبو يعلىٰ (١٣٩٣) وابن حبان كما في «الإحسان» (١/٥٢٨) والطبراني في «الدعاء» (١٤٨٠ , ١٤٨١) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٨٥) من طريق دراج أبي السمع عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري به .

ورواية دراج عن الهيثم عن أبي سعيد ضعيفة نص علىٰ تضعيفها أحمد وأبو داود كما في «التهذيب» .



ﻫ - وللترمذي - وحسنه - عن أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قال الله تعالىٰ: يابن آدم! لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة»**(١١).

وبه قامت هذه المخلوقات، قال تعالىٰ: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ**﴾، وقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا**﴾.

في كفة: أي كفة الميزان، ولا إله إلا الله في الكفة الأخرىٰ.

مالت بهن لا إله إلا الله: مالت بهن، أي بمعناها، وليس بأجرامها. فبالنظر إلىٰ المعاني والحقائق، فإن كلمة التوحيد أعظم وأصدق وأهم معنىٰ فترجح علىٰ غيرها.

وكما رجحت الكلمة بالمخلوقات فإنها ترجح بمن قالها علىٰ جميع سيئاته وذنوبه.

ﻫ - حديث أنس مرفوعًا: «**قال الله تعالىٰ: يابن آدم! لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني...**» يدل علىٰ أن الخطايا كلها مرجوحة في مقابل حقيقة كلمة التوحيد، كما ترجح بالمخلوقات العظيمة.

---

(١١) **حسن بشواهده**.

رواه الترمذي (٣٥٤٠) والبخاري في التاريخ (٣/ ٤٩٦) والدارقطني في الأفراد (٦٥٤) (٢/ ١٥، ١٦) من أطرافها لابن طاهر ط دار الكتب العلمية) من طريق أبي عاصم الضحاك بن مخلد النبيل عن كثير بن فائد أخبرنا سعيد بن عبيد قال سمعت بكر بن عبد الله المزني يقول أخبرني أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ فذكره. وفي الإسناد كثير بن فائد ذكره ابن حبان في الثقات ولم يوثقه معتبر فهو مجهول وسعيد بن عبيد روي عنه جماعة وقال أبو حاتم شيخ وذكره ابن حبان في الثقات وقال البزار ليس به بأس وخالفه أبو قتينة سلم بن قتيبة - في إحدىٰ الروايات عنه - فرواه عن سعيد بن عبيد فوقفه علىٰ أنس قاله =



. . . .

قرابها بالظلم : أي ما يقارب الأرض ويملأها.

ووجه العلماء هذا الحديث بوجهين :

الأول : أن هذا في حق من قالها صادقًا مخلصًا ، لم يصر على سيئة أصلاً فأحكم هذه الكلمة ، حتى صار مؤديًا لجميع الواجبات تاركًا لجميع المنهيات مستقيمًا على شرع الله في كل شيء.

جامع

= الدارقطني (كما في الأطراف ٢/١٦) ونقله عنه ابن رجب كما في العلوم والحكم) (صـ٤٧٤) ثم قال ابن رجب قد روي عنه مرفوعا وموقوفا

قلت : رواه مرفوعا البخاري في التاريخ (٣/٤٩٦-٤٩٧) والضياء في المختارة (١٥٧١ , ١٥٧٢) من طريق يحيى بن حكيم عن سلم به .

وهذه الرواية المرفوعة إسنادها حسن .لكن يخشى من الرواية الموقوفة التي أشار إليها الدارقطني .

وتابعه على رفعه أبو سعيد أيضا مولى بني هاشم .

كما أشار إلى ذلك أيضا الضياء وابن رحب .

وأبو سعيد مولى بني هاشم هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبيد الله البصري مولى بن هاشم .وهو لا بأس به .

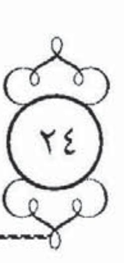
وقد تفرد بهذا الحديث سعيد بن عبيدالهنائي عن بكر المزني عن أنس.

ورواه ثابت بن أسلم عن أنس ذكره ابن رجب وقال : قال : أبو حاتم وهو منكر .

وللحديث شواهد .

ا - عن أبي ذر :

رواه أحمد (٥/ ١٦٧ , ١٧٢) والدارمي (٢٧٨٨) وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٣٢) والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤٢) من طريق مهدي بن ميمون عن غيلان بن جرير عن شهر بن حوشب عن معدي كرب عن أبي ذر عن النبي ﷺ يرويه عن ربه عز وجل قال : (ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ،ابن آدم إن تلقني بقراب الأرض خطايا لقيتك بقرابها مغفرة بعد أن لا تشرك بي شيئا ،ابن آدم إن تذنب حتى يبلغ ذنبك عنان السماء ثم=



. . . .

الثـاني : إن هذا في حق من قالها وأتى إلى الله تائبًا من خطاياه مقلعًا عن ذنوبه وسيئاته ، فكل الخطايا ساقطة بهذه الكلمة .

= تستغفرني أغفر لك ولا أبالي » وتابع غيـلان عامر الأحول عن شهر به كما عند أحمد (٥/ ١٧٢) مختصرا .وفي الإسناد شهر بن حوشب وهو مختلف فيه وإن كان إلى الضعف أقرب ومعدي كرب روى عنه اثنان ووثقه ابن حبان ووقع في رواية الدارمي عمرو بن معدي كرب بدلا من معدي كرب ثم إنه اختلف فيه على شهر بن حوشب فروي عنه كمـا سبق ورواه أحمد (٥/ ١٥٤) والبيهقي في «الشعب» (١٠٤١) من طريق عبد الحميد بن بهرام ثنا شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم أن أبا ذر حدثه فذكره مرفوعا وفي الإسناد عبد الحميد بن بهرام صدوق اختلفوا فـيه ،فرواية غيلان عنه أوثق ولكن قدم بعـض الأئمة رواية عبد الحميد بن بهرام في شهر بن حوشب عن غيره .

ورواه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٢٢١) والبيـهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤٠) من طريق العلاء بن زيد عن شهـر ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء ، فذكره مرفوعًا والعلاء مـتروك وقد خالف غيلان وعبد الحمـيد بن بهران وقد صح عن أبي ذر نحوه مختصرا .

رواه مسلم (٢٦٨٧) وذكر الحديث وفيه . . . . .ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفره» .

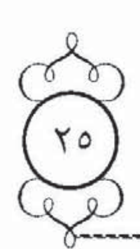
٢- عن ابن عباس .

رواه الطبراني في «الكبـير» (١٢٣٤٦) وفي «الأوسط» (٥٤٧٩) وفي «الصغـير» (٢/ ٢٠-٢١) من طريق إبراهيـم بن إسحـاق العـيـنـي عن قيـس بن الربيع عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره مرفوعا وإبراهيم بن إسحاق العيني متروك .

وروى الحاكم (٤/ ٢٦٢) نحـوه مختصـرا من طريق حفص بن عمـر العدني ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس فذكره مرفوعا .

وحفص بن عمر العدني ضعيف واه .

وتابع حفص بن عمر العدني أبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه به كما عند عبد ابن حميد في «المنتخب» (٦٠٠) وإبراهيم بن الحكم متروك .



. . . .

وهذا المعنى لابد منه ؛ لأن الآيات والأحاديث دلت على أن أهل المعاصي على خطر ، وأنهم متوعدون بالنار ، والنصوص لا تعارض بعضها بعضًا ، ولا تتناقض بينها ، فوجب حمل النصوص على هذا المعنى حتى لا يكون هناك اختلاف وتناقض.

وقد تعلق بعض الجهلة بمثل إطلاقات هذه النصوص ، وظن أن هذه الكلمة تكفي بمجرد القول ؛ وإن ترك الواجبات وفعل المعاصي . وهذا مخالف لما أجمع عليه سلف الأمة من أنه لابد من أداء الواجبات ، وترك المحرمات ، والوقوف عند حدود الله.

ومن ترك الواجبات ، أو فعل المنهيات فإنه معرض لعقوبة الله تعالى ، وإن كان يقول هذه الكلمة ويوقن بها.

وإن أتى بما ينقض إسلامه صار مرتدًا كافرًا ، لم تنفعه هذه الشهادة.

فلابد من تحقيق هذه الكلمة ومستلزماتها ، وإلا فهو على خطر إن لم يتب.



